دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

مجال دكالة في مرآة المصادر العربية خلال العصر الوسيط
بين التوصيف وإمكانيات التوظيف

أ.د. نور الدين امعيط
أستاذ التعليم العالي مؤهل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة شعيب الدكالي – المملكة المغربية

مُلَخّص

ليس ثمة شك فيما أصبحت تكتسيه الكتابة التاريخية المونوغرافية في المغرب من أهمية وعناية من قبل الباحثين خلال العقود الأخيرة، سواء من حيث وفرة الدراسات المنجزة، أو من حيث تنوع مجالات الدراسة، واتساع أفق المقاربات المنهجية، بتوسيع مفهوم الوثيقة واستغلال مستندات ووثائق محلية مادية مكتوبة وأثرية، وأخرى غير مادية كالرواية الشفوية والأمثال الشعبية وما تختزنه العادات والأعراف من كلمات عفوية مفيدة في التقاط إشارات تاريخية ذات أبعاد مختلفة. تسعى هذه الدراسة إلى استنطاق المصادر الوسيطية، ورصد الأسباب الموضوعية التي أعاقت، وما تزال، انخراط الباحثين في إعادة كتابة تاريخ منطقة دكالة خلال العصر الوسيط، وذلك من خلال التوقف عند إشكالية المصادر العربية بعرض تجلياتها وحدود استجابتها لملامسة بعض الجوانب المعتمة في تاريخ منطقة دكالة من قبيل أصل التسمية وضبط المجال الجغرافي للقبيلة تاريخيا، ومواقع بعض القرى والحواضر المندرسة من مجالها العمراني، وما كانت تزخر به من نشاط اقتصادي ودِيني وثقافي، خلال فترات مختلفة من العصر الوسيط. وقد توصلت الدراسة إلى أن مجال دكالة في المصادر العربية الوسيطية على اختلاف أجناسها، لم يحظ بذلك الاهتمام الموازي لموقعها الجغرافي وسط المغرب وعلى ساحل المحيط، والأدوار الدينية والثقافية والجهادية التي اطلعت بها طول فترات مختلفة من العصر الوسيط.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٩ يونيو ٢٠٢٤
تاريخ قبـول النشـر: ٢١ يوليو ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

دكالة؛ المصادر الوسيطية؛ المجال العمراني؛ الحواضر المندرسة

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2024.400299

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

نور الدين امعيط، "مجال دكالة في مرآة المصادر العربية خلال العصر الوسيط بين التوصيف وإمكانيات التوظيف".- دورية كان التاريخية.- السنة السابعة عشرة- العدد السادس والستون؛ ديسمبر ٢٠٢٤. ص ٩٠ – ١٠٥.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: nour7404@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

ليس ثمة شك فيما أصبحت تكتسيه الكتابة التاريخية المونوغرافية في المغرب من أهمية وعناية من قبل الباحثين خلال العقود الأخيرة، سواء من حيث وفرة الدراسات المنجزة، أو من حيث تنوع مجالات الدراسة، واتساع أفق المقاربات المنهجية، بتوسيع مفهوم الوثيقة واستغلال مستندات ووثائق محلية مادية مكتوبة وأثرية، وأخرى غير مادية كالرواية الشفوية والأمثال الشعبية وما تختزنه العادات والأعراف من كلمات عفوية مفيدة في التقاط إشارات تاريخية ذات أبعاد مختلفة.

ويبدو أن منطقة دكالة على امتدادها المجالي وتنوعها البشري، لم تحظ في مجال البحث التاريخي، إلا باهتمام محدود في الغالب الأعم، لا يتناسب مع ما اضطلعت به مكوناتها الاثنية ونخبها المحلية ومراكزها الحضرية والقروية، من أدوار مهمة في رسم معالم التاريخ الوطني، خاصة وأن أهم الدراسات المنجزة، قد ركزت بعضها على الجوانب الدينية مفصلة في الحديث عن الصلحاء والربط والزوايا[١]، بينما ركزت أخرى على جوانب تخص المقاومة زمن الاحتلال البرتغالي وبعده[٢].

لذلك، فقد آثرنا في هذه الدراسة استنطاق المصادر الوسيطية، ورصد الأسباب الموضوعية التي أعاقت، وما تزال، انخراط الباحثين في إعادة كتابة تاريخ منطقة دكالة خلال العصر الوسيط، وذلك من خلال التوقف عند إشكالية المصادر العربية بعرض تجلياتها وحدود استجابتها لملامسة بعض الجوانب المعتمة في تاريخ منطقة دكالة من قبيل أصل التسمية وضبط المجال الجغرافي للقبيلة تاريخيا، ومواقع بعض القرى والحواضر المندرسة من مجالها العمراني، وما كانت تزخر به من نشاط اقتصادي وديني وثقافي، خلال فترات مختلفة من العصر الوسيط.

أولاً: دكالة وإشكالية تحديد التسمية

تطرح المعاجم اللغوية والجغرافية إشكالا حقيقيا أمام الباحث أثناء ملامسته بعض الجوانب المعتمة في تاريخ منطقة دكالة خلال الحقبة الوسيطية، ومنها مسألة التسمية، سواء من حيث كيفية النطق والأصل والدلالة، أو من حيث تاريخ الاستعمال والتوظيف، إذ اعتادت أغلب الدراسات على كيفية نطق لفظ "دكالة" "بضم الدال وتشديد الكاف"[٣]، وهي الصيغة المتداولة محليًا بين السكان إلى اليوم. غير أن العودة إلى معاجم الجغرافيا التاريخية واللغوية، تجعلنا نصادف نطقا مخالفا للمتداول محليا، ففيما جعلها ياقوت الحموي (ت. ٦٢٢هـ)، في معجمه "دكالة بفتح أوله وتشديد ثانيه، بلد بالمغرب يسكنه البربر"[٤]، أوردها الفيروز أبادي (ت. ٨١٧هـ) في قاموسه بضم الدال وتشديد الكاف، والمنتسب إليها دكالي، بينما غاب لفظ "دكالة" تمامًا في معجم الروض المعطار لابن عبد المنعم الحميري (كان حيًا سنة ٨٦٦هـ)، على الرغم من تدقيقه في أسماء أماكن أخرى، مما يرجح فرضية أمازيغية اللفظ الذي نجهل بداية استعماله على وجه التحديد.

وبالنسبة لدلالة الاسم، فإننا لا نعرف للفظ معنى، ففيما تغيب القرائن والإشارات ضمن المصادر التاريخية بخصوص دلالة اللفظ وبداية استعماله، جاءت المعاجم اللغوية غير مستوفية للغرض المطلوب، فهي لم ترتب الكلمة ضمن الجدر الثلاثي، وإنما اشتقت كلمات بعيدة المعنى[٥] عن دلالة التسمية، ولا تشترك معها في نواة دلالية، من قبيل "دكل الطين: جمعه بيده ليطين به، ودكل الدابة: مرغها في التراب، وتدكل: اعتز وترفع بنفسه، وتدكل: تباطأ"[٦]، وكلها معاني تبدو بعيدة عن دلالة الاسم، مما يزيد من ترجيح فرضية الأصل الأمازيغي للكلمة، خاصة إذا علمنا أن المنطقة كانت تعمرها قبائل أمازيغية من مصمودة[٧] قبل زحف بني هلال الذين استوطنوا المنطقة ابتداء من منتصف القرن السادس الهجري.

ولئن سلمنا بالأصل الأمازيغي للتسمية، فإننا لا نتوفر على شواهد مادية ثابتة، عدا جملة من الاحتمالات والاجتهادات المتفاوتة القيمة والأهمية، ففيما ذهب ماسينيون أن لفظ دكالة يطلق على المجتمعين، وربما ظن أنهم من إمدوكال (بتسكين الميم وتشديد الدال مضمومة)، أي الأصحاب في اللسان الامازيغي[٨]. يرى البعض الآخر[٩] أن أصل التسمية يعود إلى قبيلة دكالة الأمازيغية التي سكنت المنطقة إلى غاية قضاء الموحدين على مملكة بورغواطة[١٠]، مستندين في ذلك إلى رأي ابن خلدون الذي ذكر قبيلة دكالة ضمن

قبائل الحلف المصمودي[١١]، بينما ذهب البعض الآخر[١٢] إلى أن أصل لفظ دكالة يرجع إلى كلمة أمازيغية مركبة من شقين هما: "دو" أي تحت أو أسفل و"أكال" أي الأرض أو البلد، مما يفيد أن لفظ "دكال" أو "دكالة" تعني الأرض المنخفضة، وهو اجتهاد يستند إلى اللغة المحلية الأمازيغية التي سادت، وبشكل واسع التداول، قبل قدوم بني هلال للمنطقة، ويبدو أن أهل هذا الاجتهاد[١٣] قد وجدوا في الشكل الطبوغرافي للمنطقة ما يدعم طرحهم، لأن المنطقة سهلية، يغلب عليها طابع الانبساط، مقارنة بالمناطق المجاورة لها.

وبتقصي الرواية الشفوية، نصادف اشتقاقًا آخر لتسمية "دكالة"، فهي كلمة برتغالية الأصل[١٤] ظهرت آواخر العصر الموحدي، حين اشتدت الغارات الايبيرية على السواحل المغربية، فكان الأهالي يحترفون الرعي على السواحل، ومن هؤلاء الرعاة، إثنين آثارا انتباه البرتغاليين، لترددهما على السواحل وجمعهما الأخبار لفائدة رجال المقاومة والمجاهدين، فأطلقوا عليهما "Dos-callas"، أي إثنين من الرعاة، وهي التسمية التي تبدلت بعد ذلك في اللسان المحلي لتصبح "دكالة".

وفي ذات السياق، يطالعنا أحد الباحثين بتوضيح لدلالة التسمية بناء على اجتهاد في اللسان الأمازيغي، فدكالة ليست في تقديره تسمية لقبيلة واحدة، وإنما "تسمية لقوم، أي مجموعة قبائل، هم إيدوكالن وفيها أدو (بتشديد الدال) بمعنى: تحت أو أسفل، أو إد (بتسكين الدال) ومعناه: أهل، وأكالن: الأراضي أو الأطيان، وتقاربها في المعنى تسمية فرقة مجاورة بحوز مراكش كانت تسمى إدركالن، وإدرا معناه: عميق لمن ينظر من أعلى منها درًا أي بلاد درعة التي يشرف عليها سكان الأطلس في الجهة المعاكسة أي الجنوبية، بينما ينظرون إلى دكالة إذا نظروا نحو الشمال، ويحتمل أن تكون التسمية من تيديكليت أي راحة اليد التي يشبهها البسيط، وقد تكون بهذا المعنى مرادفة لتامسنا اللفظة الأمازيغية التي تطلق على السهل المجاور، وتحمل دلالة البسيط الخالي"[١٥].

ومهما يكن من أمر دلالة التسمية، فإن أقدميتها في المصادر الوسيطية، قد تعود إلى ما قبل القرن السادس الهجري، الثاني عشر للميلاد، دليلنا في ذلك بعض الإشارات التي توفرها المصادر الإخبارية وكتب التاريخ العام، والتي نقف من خلالها على قدم استعمال لفظ "دكالة" وتداوله منذ العصر المرابطي على الأقل، ففي رواية للبيدق الصنهاجي ذكر "باب دكالة" كأحد الأبواب الرئيسية التي نفذ منها الموحدون أثناء فتحهم لمراكش عاصمة الملثمين سنة ٥٤١ه، "فقد دخل هنتاتة وأهل تينملل من باب دكالة[١٦] بسلمهم"[١٧]، ونفس الرواية تكررت عند كل من ابن عذاري المراكشي(ت٧١٢هـ) و صاحب الحلل الموشية (ق٨هـ) الذي ذكر "باب دكالة"[١٨] في سياق وصف الصراع المرابطي الموحدي، مما يحيل على أقدمية التسمية وتداول الاستعمال الذي قد يعود إلى ما قبل القرن السادس للهجرة. وتكمن أهمية رواية ابن سماك العاملي، في كونه قد نقل عن مصادر سابقة ومفقودة في الغالب الأعم، وهو يرصد أخبارًا عن المرابطين في بداية عهدهم، فنصادف نقله قول أشياخ المرابطين لأميرهم أبي بكر بن عمر اللمتوني حين "قالوا له قد نظرنا لك أيها الأمير موضعا صحراء رحب الساحة، واسع الفناء، يليق بمقصدك، وقالوا له: نفيس جنانها وبلاد دكالة فدانها وزمام جبل درن بيد أميرها"[١٩].

ولئن كانت هذه الرواية تؤكد حضور بلاد دكالة كمجال منذ العصر المرابطي، فإن نفس المصدر يشير إلى حضور وازن لدكالة "القبيلة" ويذكرها بالاسم، في سياق حديثه عن أحداث سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م، وحروب الموحدين ضد القبائل المناوئة لسلطتهم، وقد كانت هذه القبيلة في طليعة هؤلاء الذين وقفوا في وجه الموحدين ونصبوا كمينا للخليفة عبد المؤمن لولا أن أخذهم من الخلف فوق أرض صخرية، كانوا قد تحصنوا فيها، فقضى على أغلبيتهم[٢٠]. وفيما تشير رواية صاحب الحلل إلى خصوبة مجال دكالة التي اقترن استعمالها لديه بالفدان المنفتح على مراكش، فإنه يخلط بين دكالة المجال ودكالة القبيلة أو السكان، فأحيانا يذكر لفظة "بلاد دكالة" وأحيانا أخرى يذكر "قبيلة دكالة" أو "أهل دكالة" دون تمييز، وكأنها تحمل دلالة موحدة، في حين أن الأولى تدل على المجال الخصب الذي تلامس حدوده حاضرة مراكش، والثانية تدل على الساكنة، وما كانت تتوفر عليه من قوة عسكرية زمن الموحدين، فهي من

وقفت في وجه جيش الخليفة الموحدي عبد المؤمن الذي قاتل "قبيلة دكالة فانحازت إلى الساحل في نحو عشرين ألف فارس، ومائتي ألف راجل، وسار إليهم عبد المؤمن في أمم لا تحصى من الخيل والرجالة والرماة، وكان أهل دكالة لا رأي عندهم، ولما اصطفوا وتأهبوا للقتال، جاءهم من ناحية أخرى غير الناحية التي اعتقدوها، فانحل نظامهم، وفل جمعهم، وخرجوا عن وعر الموضع الذي كانوا به، فألجأهم السيف إلى البحر، فقتل أكثرهم في الماء، وأخذت إبلهم وغنمهم، وأموالهم، وسبى أولادهم، وانتهى البيع فيهم إلى بيع المرأة بدرهم، والغلام بنصف درهم".

ثانيًا: دكالة وإشكالية تحديد المجال

إن المتأمل في المصادر الوسيطية، وخاصة كتب الجغرافيا والرحلات والأوصاف، حول المعطيات التاريخية التي يوفرها هذا الصنف من المصادر، بشأن تاريخ مجال دكالة، ليلحظ دون كبير عناء، شحا في الإشارات التاريخية حول المنطقة، خاصة خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة، العاشر والحادي عشر للميلاد، فابن حوقل (ت. ٣٦٨هـ)، وهو الرحالة المغامر مصور الأرض و العالم بالبلدان، قد قفز على ذكر المنطقة قفزا دون تسميتها، حيث أشار في مصنفه إلى "بلاد بورغواطة"[٢١]، ولم يذكر بلاد دكالة، واصفا المنطقة بقطعة من البر "تخرج عن يسار سلا (...) إلى البحر يقرأ فيها هذه زنقة في البحر المحيط وهي حومة بلد بورغواطة وديارهم، وأسفل هذه الزنقة مصب نهر وسن"[٢٢]. وسار على منواله الرحالة المقدسي (ت٣٨٠هـ) في كتابه أحسن التقاسيم حين ذكر من المدائن فاس[٢٣]وسبتة[٢٤] وسجلماسة[٢٥]، دون أن يشير لدكالة أو إحدى حواضرها.

أما أبو عبيد الله البكري (ت. ٤٨٧هـ)، فقد أشار بدوره إلى حواضر "بلد تامسنى" ومنها "مدينة شالة" و"آسفي" و"البيضاء" و"فضالة"، دون أن يورد إشارة تذكر لبلاد دكالة، "فمن مرسى آسفي إلى البيضاء(...) إلى جزيرة فضالة، وهو ساحل بلد تامسنى بلد بورغواطة، ثم إلى مرسى ماريفن ثم إلى وادي سلى(...) وهناك مدينة أولية أثارها قديمة تسمى شلة"[٢٦]. ويبدو أن غياب لفظ "دكالة" عند كل من ابن حوقل والبكري، له دلالته التاريخية، ذلك أن غياب اللفظ ضمن هذه المصادر، لا يعني البتة غياب الاستقرار الفعلي للقبيلة بالمنطقة تاريخيا، وإنما يعزى سبب ذلك، في تقديرنا، إلى أن هذه القبيلة ظلت خاضعة، وخلال ردح طويل من الزمن، لبلاد تامسنا الكبرى ضمن دائرة النفوذ البورغواطي[٢٧] الذي استمر إلى حدود القرن السادس الهجري مع الموحدين.

وفيما أغفل الزهري (المتوفى بعد سنة ٥٤١هـ)، كل إشارة عن قبيلة دكالة خلال القرن السادس الهجري، ضمن مصنفه الجغرافي، مكتفيا برصد بعض الأحلاف القبلية التي عمرت بلاد المغرب، نظير "صنهاجة وبرغواطة وزناتة"[٢٨]، يطالعنا الشريف الإدريسي (ت٥٦٠هـ) في نزهته بإشارة فريدة في سياق حديثه عن الطريق الساحلي من " مرسى آسفي إلى مرسى ماسة (...) ومرسى الغيط (حيث) المراكب تصل إليه فتخرج منه الحنطة والشعير ويتصل به من القبائل البربر دكالة"، مضيفا أن "أرض دكالة كلها منازل وقرى ومناهل(...) وتتصل دكالة إلى مرسى ماست إلى تارودانت السوس"، وهي إشارة إلى شساعة المجال الذي كانت تشغله أرض دكالة، حيث كانت تمتد على مجال واسع جدًا يلامس بلاد السوس من ناحية الجنوب.

وإذا كان الإدريسي قد أشار إلى مجال نفوذ قبيلة دكالة البربرية الذي كان متصلا ببلاد السوس جنوبا، فإنه قد أغفل تحديد باقي جهات موقعها بدقة، وإن كان قد أورد بعض الإشارات الباهتة من خلال ذكره لبعض القبائل المجاورة، حين أورد لفظ "دكالة" كقبيلة ضمن البربر الساكنين بقبلة مراكش، فممن "يسكن (...) من قبائل البربر أيلان وهم مصامید وحولها من القبائل نفيس وبنو يدفر ودكال ورجراجة وزودة وهسكورة وهزرجة، ويسكن بغربي أغمات وشرقيها مصامید وريكة"[٢٩]. وفيما جعل الإدريسي قبيلة دكالة تتموقع بين قبيلتين هما بنو يدفر ورجراجة، رتبها ابن خلدون ضمن قبائل المصامدة بين هزميرة وحاحا، فذكر "هرغة وهنتاتة وتنن ملل وكدميوة وكنفيسة ووريكة وهزميرة ودكالة وحاحا وأمادين أمان وازكيت وبنو ماكر وأيلانة ويقال هيلانة"[٣٠]، وهو تضارب قد يزيد من صعوبة

التوطين الجغرافي الدقيق لمجال قبيلة دكالة خلال العصر الوسيط.

إن تضارب المعطيات التاريخية حول موقع قبيلة دكالة خلال العصر الوسيط وحدودها الجغرافية، قد لا يقتصر على مصدرين مختلفين فحسب، كما هو الحال عند كل من الإدريسي وابن خلدون، بل قد يمتد ليطال المصدر الواحد، فالإدريسي قد جعل قبيلة دكالة ضمن الحلف المصمودي، ثم عاد في موضع آخر ليذكر قبائل تامسنا المصمودية دون أن يعد دكالة منهم، "فقبائل تامسنا شتى مفترقة فمنهم بورغواطة ومطماطة وبنو تسلت وبنو أويقمران وزقارة وبعض من زناتة(...) وكل هذه القبائل أصحاب حرث ومواش وجمال، والغالب عليهم الفروسية وآخر سكناهم مرسى فضالة".

وتبدو إشكالية تحديد مجال دكالة أكثر وضوحًا، في وصف الحسن الوزان الذي استعمل اللفظ للدلالة على الإقليم أو الناحية[٣١] وليس القبيلة، مما يوحي بحضور تكتل أو حلف قبلي دكالي اتضحت معالمه بهذه المنطقة أواخر العصر الوسيط، فذكر حدودها التي "تبتدئ من تانسيفت غربا، وتنتهي على شاطئ المحيط شمالا، وعند وادي العبيد جنوبا وأم الربيع غربا"[٣٢]، وهو التحديد الذي يستلزم تصويبا بإبداء ثلاث ملاحظات أساسية، أولها تتعلق بالاتجاه، لأن وادي العبيد لا يوجد جنوب المنطقة، كما لا يوجد وادي تانسيفت غربها، والصواب أن حدودها من الناحية الغربية المحيط الأطلسي، ومن ناحية الجنوب وادي تانسيفت ومن الشمال وادي أم الربيع. والملاحظة الثانية إغفال الحسن الوزان لرسم الحدود الشرقية التي يمكن تحديدها بمرتفعات الجبل الأخضر وجبل بني ماجر[٣٣]، بينما تتعلق الملاحظة الثالثة بوادي العبيد الذي لا يقع ضمن معالم حدود المنطقة فهو يعبر بعيدًا عن حدود دكالة ويفصل بين هسكورة وتادلا[٣٤]، وليس بين هسكورة ودكالة.

ولم يخرج مارمول بدوره في كتابه إفريقيا عن نفس المزالق، حين اعتنى برسم حدود بلاد دكالة، فقد حدا حدو أوصاف الحسن الوزان إلى حد التطابق، مسميا المنطقة إقليمًا، مبرزا أن هذا المجال "يمتد من جهة الغرب عند نهر تانسيفت على حدود حاحا، ويمتد نحو الشمال حتى المحيط، ونهر أم الربيع في شرقه"[٣٥]، وهو تحديد مجانب للصواب كما أسلفنا.

ويبدو أن ثمة عوامل جغرافية وتاريخية عملت عملها لتجعل مدلول كلمة "دكالة" ينصرف إلى هذه المنطقة المحددة بين نهر أم الربيع ونهر تانسيفت والحوز والمحيط، وحتى هذا التحديد لا يخلو من تسامح لاعتبارات لا يدركها حق إدراكها إلا من احتك بالمصادر التاريخية، ليرى في بعضها التناقض والخلطة أحيانا، ثم الغموض والابتعاد عن الواقع الجغرافي والتاريخي للمنطقة أحيانا أخرى، على حد تعبير أحد الدارسين[٣٦]، وعلى الرغم من أن الحدود الطبيعية، لم تكن حاجزا بين دكالة والمناطق المجاورة لها، خاصة أمام تحركات بعض القبائل كرجراجة الدكالية التي عرفت ديارها بجنوب تانسيفت وبقيت مع ذلك مرتبطة بأسفي إلى حدود القرن ١٠هـ/١٦م[٣٧]، وارتباط قرى تامسنا وهسكورة بما يحدث داخل دكالة[٣٨]، فإن هفوات وشح المعطيات المصدرية أحيانًا، وضبابيتها أحيانا أخرى، يطرح إشكالاً حقيقيًا على مستوى التوظيف المصدري، ليس في تحديد المجال الدكالي فحسب، بل في ضبط وتحديد مواطن العديد من قبائله ومراكزه الحضرية والقروية كذلك، وهو ما يزيد من تعقيد مهمة الباحث في تاريخ هذا المجال خلال الحقبة الوسيطية.

ثالثًا: دكالة وإشكالية تحديد النسب والانتماء

في محاولة لضبط نسب قبيلة دكالة خلال العصر الوسيط، يذكر النسابة ابن خلدون أن هذه القبيلة تنتسب إلى المصامدة، "فأما بقية قبائل المصامدة مثل هيلانة وحاحة ودكالة وغيرهم ممن استوطن هضاب الجبل أو ساحته، فهم أمم لا تحصى، ودكالة منهم في ساحة الجبل من جانب الجوف مما يلي مراكش إلى البحر من جانب الغرب"[٣٩]، وهو ما يفيد أن هذه القبيلة كانت تنتمي إلى مصمودة السهل أو "مصامدة الفحص"، على حد تعبير صاحب نظم الجمان[٤٠].

غير أن من المصادر من يشكك في هذا الانتماء، ومنها كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب الذي يذكر أن قبيلة دكالة هي من الملتحقين والمهاجرين إلى المصامدة،

ففي سياق حديثه عن قبيلة كدميوة المصمودية، ذكر أن لهم من الأفخاذ ستة وأربعون، ولكل فخذ من هذه الأفخاذ مزوارا(...) والمهاجرون لهم ثلاثة قبائل بمزوار واحد، أولهم هيلانة ودكالة وزناتة تيفسرت، ودكالة منهم مع بني صفادة في التربيع"[٤١]. فهل يمكن القول إن قبيلة دكالة هي قبيلة صنهاجية صرفه؟ أم قبيلة مصمودية ظلت تناصر المرابطين، ثم هاجرت لتناصر الموحدين قهرا، خاصة بعد هزيمتها السالفة الذكر أمام جيوش الخليفة عبد المومن الموحدي سنة ٥١٦هـ؟

الواقع أن المصادر لا تسعف في الكشف عن هذه الحيثيات كشفا مباشرا، غير أن الاستناد إلى مقولة ابن خلدون التي تؤكد "أن المغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"[٤٢]، حتى إنه قد يندمج معه اندماجًا تامًا، يجعلنا نرجح أن قبيلة دكالة، وإن كانت مصمودية الأصل، فإنها كانت في طليعة القبائل المناصرة للمرابطين، وتحولت من المعارضين إلى المساندين للموحدين بعد هزيمة المرابطين أمام جيوش عبد المومن سنة ٥١٦هـ.

كانت قبيلة دكالة مناصرة للمرابطين، واستمرت نصرتهم للملثمين إلى أواخر عهدهم، حتى شكك البعض[٤٣] أنهم قبائل صنهاجية صرفة، دليلنا في ذلك ما ساقه ابن القطان في معرض حديثه عن انتصار الموحدين ضد جيوش علي ابن يوسف المرابطي في إحدى المعارك سنة ٥١٦هـ، فما كان إلا أن "شاع ذكر الهزيمة في البلاد، فهيب أمره (المهدي ابن تومرت ت. سنة ٥٢٤هـ)، وكثر المهاجرون إليه، ولم يبق قبيل من أهل جبل المصامدة، إلا وقد هاجر إليه منه، وأقاموا يفاتن بعضهم بعضا، ومصامدة الفحص مع المجسمين وعلي ابن يوسف، وهم دكالة وهسكورة وهزميرة وهزرجة و رجراجة وحاحا وصودة"[٤٤].

ظلت قبيلة دكالة المصمودية، تناصر اللمتونيين طوال فترة حكمهم، خلافا لسائر قبائل شعب مصمودة التي سارعت بالدخول في دعوة الموحدين[٤٥]، علما أن المصامدة جميعهم يلتقون في جد واحد، فقد رفع ابن خلدون نسبهم إلى "ولد مصمود بن يونس بربر، وهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم"[٤٦]، وجعلهم البعض من "أبناء مصمود بن برنس جد شعوب البرانس"[٤٧]، غير أن قبيلة دكالة المصمودية، اختارت أن تنآى بنفسها بعيدا عن دولة الموحدين، فأظهرت دعما و تعصبا للمرابطين من صنهاجة، وكانت من القبائل المتأخرة[٤٨] التي التحقت عن مضض بالموحدين فتحولت من المعارضين إلى المساندين بعد الهزيمة.

ويذكر البيدق الصنهاجي أن الخليفة عبد المومن الموحدي، كان قد باذر بالتمهيد لفتح مراكش عاصمة المرابطين عن طريق فتح بلاد دكالة قبلها، وهو ما يفيد بقوة هذه القبيلة المناصرة للمرابطين، لذلك فقد أرسل رجالا من "صنهاجة تيسغرت إلى الخليفة سنبلة، وقالوا له باذر زرع دكالة، و إلا لا تدخل مراكش ولا تأخذها أبدا، فميز أمير الموحدين وخرج من مكناسة وترك عليها يحيى بن يومور(...) وجاء هسكورة وصنهاجة بعسكرهم وهبط بهم الخليفة على وادي أم الربيع حتى استوى في صنهاجة أزمور، ونزل فيه بعسكره وساقوا له المروة، وبعث عن دكالة جيرانهم فوحدوا توحيدهم الأول"[٤٩].

ومما يزيد من ضبابية المعطيات المصدرية حول أصل قبيلة دكالة، ذلك الاختلاف والتضارب الحاصل بين المصادر، إذ يطلق اللفظ أحيانا في صيغة المفرد للدلالة على قبيلة واحدة إسمها "دكالة"، كما هو الشأن عند الإدريسي[٥٠] وابن خلدون[٥١]، وأحيانا أخرى يطلق في صيغة الجمع على مجموعة قبائل، يحدد موقعها ابن خلدون بقوله "وتتصل بهم(قبائل صنهاجة) قبائل دكالة في وسط المغرب من عدوة أم الربيع إلى مراكش، ويتصل بهم من جهة المغرب على ساحل البحر قبيلة بناحية أزمور، وأخرى وافرة العدد مندرجة في عداد المصامدة وطنا ونحلة وجباية وعمالة، ورياستهم لهذا العهد في دولة عزيز بن يبروك (...) ويعرف عقبه الآن ببني بطال"[٥٢].

وأغلب الظن أن المجال الجغرافي الممتد بين وادي أم الربيع ومراكش، بحسب تحديد ابن خلدون، كان مجالا شاسعا وخصبا، يتسع ليشمل حلفًا قبليًا مصموديًا كبيرًا يستوطن السهل ويدعى دكالة، فهي إذا مجموعة قبائل مصمودية وصنهاجية، أو "شعب يشتمل على عدد من القبائل والبطون"، على حد تعبير أحد المؤرخين[٥٣]، بدليل أن البيدق ذكر "قبيلة صنهاجة أزمور"، كما أن ابن خلدون قد ميز بين قبائل دكالة، وبين هذه القبيلة

الصنهاجية المجاورة التي ظلت تستوطن أزمور المدينة ونواحيها، وتتصل اتصالا مباشرا بمجال دكالة، فمن جهة الغرب "على ساحل البحر قبيلة بناحية أزمور"[٥٤] التي عرفت "بصنهاجة الذل لما هم عليه من الذل والمغرم"[٥٥]، في عيون أهل صنهاجة الشمال ممن يسمون أنفسهم بصنهاجة العز، و هؤلاء "يقطنون بجبال غمارة كبني زروال وبني مغالة"[٥٦].

ويبدو أن قبيلة دكالة، كانت تقود حلفا مصموديا بالسهل مناوئ للدولة الموحدية، وهو ما حدا بعبد المومن بن علي إلى غزوها وإجبارها على الإذعان و الخضوع، كما أن الموحدين من خلفاء عبد المومن، قد سلكوا مسلك كسر شوكة هذه القبيلة المتمردة، بعد ترحيلهم لقبائل بني هلال وتوطينهم داخل مجالها والسهول المجاورة له، وهو ما يعزز فرضية اندماج قبيلة دكالة الأمازيغية وتمازجها مع قبائل من بني هلال العربية وأحلافها منذ القرنين السادس والسابع للهجرة، فاستعربت القبيلة الأصلية، ثم انقسمت بعد ذلك إلى دكالة الحمراء، وهي الجنوبية، ومساكنها بآسفي وأحوازها، وتسمى اليوم "عبدة"، ودكالة البيضاء، وهي الشمالية التي ما تزال تحتفظ بنفس الإسم[٥٧].

ومعلوم أن القبائل العربية التي استوطنت دكالة، هي قبائل جشم، وخاصة بنو سفيان[٥٨] وهؤلاء فرقة مباشرة من العائلة الكبرى بني هلال بحسب رأي ابن خلدون[٥٩]، ويبدو أن هذه القبائل قد انتشرت انتشارا كاسحا، شمل مختلف نواحي دكالة أواخر العصر الوسيط، ولا سيما إبان القرن ٩هـ/١٥م، زمن بني وطاس وما رافق ذلك من هجمات البرتغاليين على هذه الربوع، فالتقسيم القبلي الذي ساد خلال هذه المرحلة هو نفسه الذي ما تزال عليه دكالة في الوقت الراهن، وهو: الحوزية بنواحي أزمور ثم أولاد بوعزيز وأولاد فرج وأولاد عمرو وأولاد بوزرارة وأولاد عمران والعونات[٦٠].

وتجدر الإشارة إلى أن ساكنة دكالة، وعلى الرغم من أصلها الأمازيغي، فإنها تعربت وأدمجت بصفة شاملة، حتى أصبحت اللغة العربية الآن، وحدها المتداولة والمفهومة لدى غالبية السكان، كما أن طبائع الساكنة، هي نفسها طبائع السكان العرب الذين تعربوا تعريبا معمقًا، كأهل الشاوية وبني أحسن وسكان الغرب.

وبالعودة إلى بعض كتب التراجم و الأنساب المحلية المتأخرة، نظير مخطوطة[٦١] ابن ابراهيم المشنزائي[٦٢]، أملا في تحصيل معطيات مفيدة عن أصل انتماء بعض القبائل الدكالية ونسبها، فإننا نصطدم بإشكالية أخرى أكثر تعقيدا، ويتعلق الأمر بتضخم الذاتية، لأن الرجل الذي نصب نفسه للحديث عن نسب أجداده، لم يستطع التحكم في قلمه[٦٣]، ليرتكب أخطاء فادحة، وتناقضات عديدة، فمشنزاية قبيلة عربية، بحسب زعمه، على الرغم من أنه عدها من القبائل المصمودية، كما أنه أطنب في الحديث عن هجرة رجال رجراجة إلى الحجاز وملاقاتهم للنبي محمد (ﷺ)، وهو ما اتخذ في كتابه جهدا وحيزا كبيرين.

وبفحص مضامين كتاب "بهجة الناظرين وأنس العارفين للأزموي"، تبدو نزعة الانحياز والخلط والذاتية أكثر جلاء، وذلك بتمجيده لآل أمغار تمجيدا مفرطا، فجد بني أمغار اسماعيل ابن سعيد، بحسب زعمه "لا يقاس في الصلاح والزهد والعلم النافع"، فهو ينسبه الى بني هاشم، فيقول "وكان أصله (ض) من مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام"[٦٤]، ثم يعود في موضع آخر لينسب القطب أبو أبراهيم إسماعيل أمغار إلى الصنهاجيين الجداليين[٦٥].

وفي ظل ضبابية المعطيات المصدرية المتعلقة بنسب القبائل الدكالية، أضحى تتبع العناصر الأمازيغية، أمرًا عسيرًا بالنظر لما تكتنفه من تناقضات طالت تدوينات من تحدثوا عن أصل قبائلهم وحاولوا التنكر لأصلها الأمازيغي وإعطائها أصلاً عربيًا أو شريفًا، فقد رد بنو ماجر نسبهم إلى قريش" فشيخنا -أبو محمد صالح- (...) قرشي على كل وجه، وعلى كل تقدير"، وهو " أكبر أهل دكالة قدرا وأشهرهم ذكرا"[٦٦]، كما حاول الرجراجيون الانتساب إلى شبه الجزيرة العربية، من خلال قولهم بنزوح أجدادهم من الأندلس لا متفرعين عن برابرة المغرب فسادات رجراجة بزعمهم "انتقلوا من بلاد الأندلس، راكبين على سفينتهم في البحر بأربعة رجال، وخرجوا باقليم حاحا، قبل الإسلام، في الجاهلية، ونزلوا بأكوز(....) ومن هنا تفرقوا بذلك الإقليم".

ويبدو أن أهل رجراجة قد نصبوا أنفسهم دعاة للإسلام قبل دخول الفاتحين، وجعلوا ذلك بتفويض نبوي بعد زيارة "سبعة رجال"[٦٧] للحجاز في بداية الدعوة، فكانوا بذلك أول "من أدخل المصامدة في الإسلام وعلمهم علوم الدين وعلوم الشريعة"[٦٨]، بل نصبوا أنفسهم بأنهم أول من جاهد كفار بورغواطة في إطار نشرهم للإسلام.

وواضح أن هذه الروايات تبدو منحازة، وتكتنفها بعض الأخطاء التاريخية، منها كفر بورغواطة المبكر، وتبجيل قبيلة الماجريين، وهي روايات نرجح مع أحد الباحثين[٦٩] انبثاقها عن رجال بني ماجر، بعد دخول القبائل العربية لدكالة لمواجهة افتخارها بأنسابها، أو بعد طرد البرتغاليين الذي أرجعوا الفضل فيه إلى رجراجة. وحسبنا ما ذكره صاحب المعسول بهذا الشأن حين قال: "هذا ما نقلناه مختصرا من كلام كثير، جمع غالب الحكايات الملفقة حول الرجراجيين"[٧٠].

وبتأمل مختلف الإشارات المصدرية المتناثرة، بشأن أصل القبائل الدكالية، قبل الوجود العربي، أمكن القول إنها ذات أصول أمازيغية صرفه، فهي من الأصل المصمودي، عدا قبيلة صنهاجية واحدة تدعى "صنهاجة تسغيرت"[٧١]، كانت تستوطن أزمور وأحوازها، كما أن الاستناد إلى تسميات بعض القبائل التي أوردتها المصادر الوسيطية كقبيلة بني سكتي[٧٢]، وقبيلة بني سمائل[٧٣]، وباقي أسماء الأماكن بالمجال الدكالي، يؤكد أنها أسماء تنطق جميعها بحمولة أمازيغية وإرث عريق، بل تنم عن حركة تعمير هائلة سادت بهذا المجال.

رابعًا: دكالة وإشكالية تحديد مواقع المراكز العمرانية

إن المتأمل فيما كتب من أدبيات تاريخية وجغرافية ومناقبية ونسبية حول معظم المراكز والتجمعات البشرية التي استقرت على جنبات وادي وانسيفن (أم الربيع)، لا سيما في حوضه الأسفل بالشمال الغربي، خلال ما اصطلح على تسميته بالعصر الوسيط ليلحظ، شح المعطيات وندرة المعلومات والإفادات التاريخية التي تسمح بتتبع أطوار حركة تعمير هذا المجال وتوطين مختلف مراكزه العمرانية، فضلا عن الوقائع والأحداث التي رافقت ذلك، توطينا يسمح اليوم برصد علاقة هذه المراكز بالقوى والأطراف التي كانت فاعلة آنذاك، سواء على المستوى المحلي وعلاقة دكالة بجوارها القريب، أو على المستوى المركزي في علاقتها بالعاصمتين مراكش وفاس.

وعلى الرغم من تعدد المراكز القروية والحضرية بدكالة، والتي قدرها بعض المؤرخين بحوالي "عشرة آلاف قرية عامرة غير مدن السواحل"[٧٤]، فإن الإشارات المصدرية، تكاد تغيب بشأنها، وهو ما يطرح إشكالية شح مصدري، إذ لا نعثر سوى على قرائن باهتة لا تسمح إلا باجتهادات أو افتراضات، في أحسن الأحوال، تخص مواقعها وعلاقاتها، وذلك على الرغم مما لعبته بعضها من أدوار دينية وتعليمية وإدارية مهمة خلال الحقبة الوسيطية. وفيما يلي نورد جدولا توضيحيا لنماذج بأهم المراكز العمرانية بمجال دكالة التي تكاد تغيب بصددها الإشارات المصدرية.

اسم المركز العمراني	المصدر والصفحة	بعض المعطيات التاريخية
إيغيور	التشوف، ص. ٢٠٩-١٨٥.	إيغور: قرية قرب أزمور، إليها ينتسب أبو عيسى وزجيج ابن ولوون الصنهاجي.
المحاسبين	نفسه، ص.١٣١.	المحاسبين: قرية إليها يعود نسب الشيخ أبي يعقوب تصولي ابن وابوسكط المحاسبي الذي كان من أقران الشيخ أبي ينور.
وزجيج/واذكيك	نفسه، ص.١٨٥.	وزجيج: قرية قرب أزمور، ومعنى وزجيج أو وازكيك: إبن خالص في اللسان الأمازيغي.
واوزجارت/واوزجازت	نفسه، ص.١٨٩. بهجة الناظرين، ص.١٠٤-١٠٥-١٦٦.	واوزجارت: قرية قرب أزمور، على ضفة وادي أم الربيع. وكانت بها أرضا للشيخ ابي شعيب يحرثها زرع بيده.

اسم المركز العمراني	المصدر والصفحة	بعض المعطيات التاريخية
إيفغل	التشوف، ص.١٨٣.	إيفغل: قرية قرب أزمور، إليها ينتسب الشيخ أبو حفص عمر الصنهاجي.
أفوجك	نفسه، ص.٣١١.	أفوجك: قرية تابعة لأزمور، إليها ينتسب الولي أبو اسحاق ابراهيم الصنهاجي.
ايميطر	نفسه، ص.١١٣.	إيميطر: مركز عمراني ورباط: من بلاد رجراجة ضمن دكالة التاريخية، وايميطر معناه في اللسان الأمازيغي: المكان الذي تتم منه المراقبة.
أسكطاي	نفسه، ص.٢٦١.	أسكطاي: بلدة كانت ضمن دائرة بلد بني دغوغ من دكالة إليها ينتسب أبو مهدي وين السلامة ابن جلداسن (ت٥٦٠هـ).
يمويمن	التشوف، ص.٣٩٦. الروض المعطار، ص.٦١٩.	يمومن: مدينة من بلد دكالة، كانت وافرة العمارة والرخاء بين مراكش والبحر، تعرضت للخراب أيام العادل الموحدي.
وقراط	التشوف، ص.٤٣١.	وقراط: قرية من بلد بني سمائل بدكالة إليها ينتسب الولي أبو ويعزان الأسود.
أساكن	نفسه، ص.٣٠٩	أساكن: قرية من بلد دكالة، كانت على وادي أم الربيع اشتهرت بمسجدها خلال القرن ٦هـ/١٢م.
تاتوريت /تانوريت	التشوف، ص.٢٦٤. بهجة الناظرين، ص.٦٣.	تاتوريت أو تانوريت: قرية من بلد دكالة على ساحل المحيط جنوب تيط مولاي عبد الله. وبحسب الأزموري، فهي على شاطئ بني سيكتي، ولعلهم من بني سمائل.
تيصرصام	التشوف، ص.٤١٤.	تيصرصام: قرية نشأ بها الشيخ أبو حفص عمر بن كرام الصنهاجي، وقد كانت تابعة لأزمور.
تاكدورت	نفسه، ص.٤١٤.	تاكدورت: قرية كانت تابعة لأزمور، لم يبق لها أي أثر اليوم.
تافرنيت	نفسه، ص.١٤١.	تافرنيت: قرية من بلاد بني دغوغ، بها نشأ أبو حفص عمر بن ميسكوط الدغوغي(ت٥٤٦هـ).
تالغت	نفسه، ص.١١٩.	تالغت: قرية من بلد رجراجة، أي من دكالة الكبرى، وإليها ينتسب الشيخ أبو عبد الله الرجراجي، ومعنى تالغت أو تالخت هو الطين.
تافغلداشت	نفسه، ص٢٦٠.	تافغداشت: قرية من بلد دكالة، ينتسب إليها الشيخ أبو مهدي الدغوغي.
تايدافالت	نفسه، ص.٣٨٧.	تايدافالت: قرية من بلاد دكالة إليها تنتسب أم محمد السلامة، ومعنى تايدا: شجر العرعار.
كيمران	بهجة الناظرين، ص.٩٩.	كيمران: قرية من بلاد دكالة، "في ساحل صنهاجة"، كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن إسحاق أمغار يحضر فيها دروس الفقيه حجاج بن حجاج الاشبيلي.

اسم المركز العمراني	المصدر والصفحة	بعض المعطيات التاريخية
ويمازيغن	بهجة الناظرين، ص.١٦٥.	ويمازيغن: قرية توجد مابين أزمور وعين الفطر، قضى بها ليلة الشيخ أبو عبد الله بن أبي يوسف بن أبي شعيب، بعد أن خرج من أزمور خلال زيارته للشيخ أبو عبد الخالق عبد العظيم بن أبي عبد الله بن إسحاق أمغار قاصدا رباط عين الفطر.
بنـــي قفـــيز	مارمول، ج٢، ص.١٠٣.	بني قفيز: مدينة بمجال دكالة، كانت تقع على ضفة أم الربيع، كانت قريبة من أزمور، لك لا نعرف لها أثرا.
تيمغسن	التشوف، ص.٤٠٨.	تيمغسن: قرية من بلد أزمور، بها مات الشيخ أبو عمر ابن عبد الله الصنهاجي.
أنوميرغن	نفسه، ص.٤٣٧.	أنوميرغن: قرية من بلاد دكالة وإليها ينتمي الولي أبو عمران موسى بن واجدير الدكالي، دلالة التسمية: أنو: تعنى البئر وميرغن: تعني الملح.
أسايس	نفاضة الجراب، ص.٧٧.	أسايس: حصن من حصون دكالة كانت به دار ملوكية تنسب لأحد رجال الجباية زمن الموحدين.
فضالة	التشوف، ص.٣١١.	فضالة: قرية كانت تقع بعدوة وادي أزمور، لم يعد لها وجود اليوم.
السبيت	وصف افريقيا، ج١، ص.١٥٤.	السبيت: يبدو أن اسمها مشتق من اسم السوق الذي كان يقام بها، وقد تم ترحيل سكانها إلى فاس سنة ١٥١٤م.
تمراكشت	نفسه، ج١، ص.١٥٤.	تمراكشت: قرية كانت خاضعة لأزمور وتحتوي على٤٠٠كانون، وهاجر سكانها إلى مدينة الغربية بعد أن خربت سنة ١٥١٣ م.
تركا	نفسه، ج١، ص.١٥٤-١٥٥. مارمول، افريقيا، ج٢، ص.١٠٢.	تركا: أو تارفا، وتعني الساقية في اللسان الامازيغي، وهي مدينة صغيرة، كانت تقع على ضفة وادي أم الربيع، كانت آهلة بالسكان وتحتوي على ٣٠٠ كانون زمن الوزان، وانتقل سكانها الى نواحي فاس وبقيت تاركا خالية تأوي إليها البوم.
أيير	بهجة الناظرين، ص.٥٩. الكانوني، أسفي وما إليه، ص.٤٠.	أيير: قرية[٧٥] ساحلية بشمال آسفي، كانت موجودة خلال القرن ٨هـ/١٤م. وهي موضع هجرة الشيخ ابي جعفر اسحاق ابن اسماعيل رفقة والدته سنة ٧١٤هـ، وبها تزوج بأم إبنه أبو عبد الله ابن إسحاق أمغار.
قنط	الوزان، ج١، ص.١٥٢. مارمول، ج٢، ص.٨٤.الكانوني، أسفي وما إليه، ص.٣٩.	قنط: مدينة قديمة و صغيرة بدكالة، تعرف بكاب كانتان أو كونتي وتقع على مقربة من رأس بدوزة شمال أسفي بحوالي ٣٤كلم، بحسب تقدير ذ.بوشرب[٧٦].
سرنو	التشوف، ص.٣١٩. الهامش رقم: ٢. مارمول، ج٢، ص.٩٩.	سرنو[٧٧]: قرية من بلاد دكالة إليها ينتسب أبو سعيد عثمان اليرصجي(ت٥٩٠هـ). وتبعد عن أسفي ب١٦ كلم.

اسم المركز العمراني	المصدر والصفحة	بعض المعطيات التاريخية
مائة بير وبير	وصف افريقيا، ج١، ص.١٥٣-١٥٤. مارمول، ج٢، ص.١١٠-١١١.	مائة بير وبير[٧٨]: مدينة كانت على جبل سهل الانحدار، يعيش فيها بعض اليهود إلى جانب السكان البربر، كانت تتوفر على عدد كبير من الآبار المحفورة في الصخر والتي تستعمل لخزن الحبوب".
مرامر	وصف افريقيا، ج١، ص.١٥٩. مارمول، ج٢، ص.٩٨-٩٩.	مرامر[٧٩]: مدينة تبعد عن أسفي بنحو ٧٠ كلم. كان بها نحو ٤٠٠ كانون وكانت تنتج الكثير من القمح والزيت.

لعل من بين الملاحظات التي يمكن رصدها، من خلال جرد لأهم أسماء المراكز العمرانية بالمجال الدكالي خلال العصر الوسيط، هي الأصل الأمازيغي لأسماء الأماكن بهذا المجال، ولا غرو فإن منطقة دكالة، كانت تعمرها قبائل مصمودية وصنهاجية، وقد وقف ابن الخطيب الذي زار المنطقة خلال القرن الثامن الهجري، على هذه الحقيقة، حين ذكر أن اللغة الأمازيغية، كانت هي السائدة بأزمور وأحوازها، فأهلها " بربري لسانهم، كثير حسانهم، قليل إحسانهم"[٨٠]، بحسب وصف صاحب معيار الاختيار.

ومن الملاحظات الجديرة بالاهتمام أيضا، كثرة المراكز العمرانية وتعددها، حتى كادت تند عن الحصر، وقد أوردنا في هذا الصدد نماذج فقط، بحسب ما يسمح به سياق الموضوع، ولا غرو فإن المصادر الوسيطية، لا تعوزنا في التأكيد عما كان يشهده هذا المجال من حركة تعمير منقطعة النظير، فقد ذكر الإدريسي خلال القرن السادس الهجري أن "أرض دكالة كلها منازل وقرى ومناهل"[٨١]، وأشار ابن قنفد خلال القرن الثامن الهجري لنفس الملاحظة حين حضر مع جملة من الطوائف الصوفية في "مواطن عدة، منها زمان اجتماع فقراء المغرب الأقصى على ساحل البحر المحيط جوف إقليم دكالة"[٨٢] أيام كان قاضيا بهذه الربوع[٨٣]. ونفس الأمر أكده ابن الخطيب واصفا سور موسى إحدى مجامع دكالة وما حوله بأنه "متكاثف العمارة "[٨٤].

وإذا كانت كتب المناقب قد انفردت بذكر عدد مهم من المراكز العمرانية، فإنها لم تذكر عدا إشارات باهتة عنها، وذلك على الرغم مما اشتهرت به بعضها من إشعاع تجاري، ونشاط في مجال العلم والتصوف، لتظل المعطيات المصدرية بشأنها شحيحة ونادرة، فصاحب المستفاد المتوفى سنة ٦٠٣ أو ٦٠٤هـ، ذكر لفظ دكالة مرة واحدة[٨٥]، ونسب الشيخ أبي عبد الله محمد بن أمغار إلى أزمور، غير أنه لم يخصص عدا ترجمة مقتضبة، قاصرة عن توفير كل إشارة مفيدة في هذا الباب، مكتفيا بوصف صاحبه بأنه "من أهل الجد والاجتهاد، والكد والتبتل والعبادة"[٨٦].

وبالمثل، فإن نفس الملاحظة تنسحب على باقي المصادر المناقبية كأنس ابن قنفد الذي اقتصر على وصف "تيط" الرباط والمدينة، واصفا إياه بالبلد الذي "يجتمع فيه فقراء المغرب الأقصى(...) من أخيارهم وعلمائهم وصلحائهم(...) على ساحل البحر المحيط جوف إقليم دكالة"[٨٧]، وتشوف ابن الزيات الذي، وإن ذكر جملة من الإشارات، مع أسماء عدد من القرى والمدائن والقبائل ضمن المجال الدكالي، إلا أن إشاراته لا تسمح بتكوين صورة عنها أو تحديد مواقعها، وحسبنا أن نستدل على ذلك بقبيلة "بني دغوغ"[٨٨] التي أشار إلى أعلامها وبعض قراها في عدة مواضع من مصنفه، غير أن تلك الإشارات تظل قاصرة عن تحديد موقع هذه القبيلة، وغيرها من القبائل التي أوردها عرضا في سياق ترجمته لصلحاء القرن السادس الهجري.

وباستثناء بعض المدن والمراكز العمرانية التي صمدت في وجه عوائد الدهر، محتفظة بنفس الاسم نظير "أزمور"[٨٩] و"بلعوان"[٩٠] و"تيط"[٩١] و"آسفي"[٩٢] والمدينة أو "الغربية"[٩٣]، والتي نتوفر بشأنها على بعض الإشارات التاريخية بخصوص مواقعها القديمة و وظائفها، فإن باقي القرى والمدن بمجال دكالة، لا تزال مجهولة الموقع،

وتطرح صعوبات جمة في هذا الشأن، خاصة وأن المصادر التاريخية لا تفصح عن مواقعها بدقة، فجاءت معطياتها مشوبة بالكثير من الغموض والضبابية، وهو ما انعكس سلبا على مهمة البحث الأثري الذي يسترشد دوما بالوثيقة المكتوبة، مما جعله لا يزال يتلمس خطواته الأولى بالمنطقة[٩٤].

ويبدو أن مجموعة كبيرة من القرى التي ذكرها صاحب التشوف خلال القرن السادس الهجري، قد اندرست اندراسا لم يعد لها معه ذكرا ولا أثرا، كما أن معظمها ظل تابعا لحاضرة أزمور، وهو ما يوحي بأهمية هذه المدينة ووظائفها الدينية والادارية، ومن حسن حظنا، أن بعض المصادر الوسيطية، قد احتفظت بأوصاف مهمة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهذه المدينة العريقة، وإن كان ذلك يعكس تلك الأدوار التي اطلعت بها حاضرة أزمور في علاقاتها بمختلف المراكز العمرانية المجاورة خلال الحقبة الوسيطية. إلا أنه لا يقدم سوى إشارات باهتة عن القرى التابعة لها.

ومن الإنصاف التذكير بأجمل الأوصاف التي حظيت بها حاضرة أزمور من قبل لسان الدين ابن الخطيب، حين رسم ذلك في شكل لوحة فنية، فأزمور بحسب وصفه، "ذو وضع شريف، أطلت على واديه المنازه والمراقب نهره المجاور وبحره المصاقب، بلد يخزن الأقوات ويملأ اللهوات باطنه الخير، وإدامه اللحم والطير، وساكنه رفيه، ولباسه يتحد فيه، ومسكنه نبيه، وحوته الشابل ليس له شبيه، لكن أهله إنما حرثهم وحصادهم، اقتصادهم، فلا يعرفون ارضاخا (تساهلا) ولا وردا نضاخا، يترامون على حبة الخردل بالجندل(الصخر العظيم)، ويتضاربون على الأثمان الزيوف بالسيوف، بربري لسانهم، كثير حسانهم، قليل إحسانهم، يكثر بينهم بالعرض الافتخار، ويعدم ببلدهم الماء والملح والفخار"[٩٥].

ولئن أولى ابن الخطيب اهتمامه بوصف حاضرة أزمور وموقعها الاستراتيجي المطل على ساحل البحر والوادي، فضلاً عن تقديم بعض الإشارات التي تهم خصائص السكان الأزموريين ونتف عن ذهنياتهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية، فلأن ذلك يعزى للقيمة الروحية لهذه المدينة، وما كانت تكتسيه من قدسية لدى الخاصة والعامة، زمن القرن الثامن الهجري، بالنظر لوجود ضريح الولي أبي شعيب السارية بها. غير أن عنايته بوصف حاضرة أزمور، لم يكن لينطبق على باقي حواضر وقرى بلاد دكالة، فقد اقتصر وصفه لبعضها وصفا سطحيا ومقتضبا، كما صنع مع "مدينة تيط" التي حصر حديثه عنها في الإشارة للرباط والمسجد، ونفس الأمر مع حاضرة "أسفي" التي اكتفى بإشارات باهتة عن نشاط الزهد والتصوف، واحتضانها "لتربة الشيخ أبي محمد صالح" الماجري[٩٦].

وفي ذات السياق، انفرد ابن الزيات(المتوفى سنة ٦٢٧هـ أو ٦٢٨هـ) بذكر أسماء جملة من المراكز القروية والحضرية التي نجهل عن بعضها كل شيء، بينما لا نعرف عن بعضها الآخر عدا النزر اليسير، ففيما ذكر "رباط تيطنفطر"[٩٧] ونسبه إلى بلاد أزمور، ضمن ترجمة أبي عبد الله محمد المعروف بابن أمغار، أورد اسم مركز عمراني آخر، دون تحديد، ضمن ذات الترجمة[٩٨]، ويسمى "إيغيور"، وهو موطن تعبد أبي عيسى الدكالي[٩٩]، وإليه ينتسب أيضا الولي أبو عيسى وزجيج الصنهاجي[١٠٠]، وهي قرية كانت، ولا شك، محطة للزهاد ورباطا للمتصوفة، غير أننا لم نعد نعلم لها ذكرًا ولا أثرًا.

وفي ظل صمت يكاد يكون مطبقا من قبل المصادر التاريخية عن ذكر أي قرائن مفيدة في ضبط موقع "إيغيور" ضمن المجال الدكالي، وغياب معطيات التنقيب الأثري، فإن البحث في طبونيميا المجال ودلالات تسمية الأماكن، قد يقدم بعض الإشارات المفيدة في هذا الصدد، خاصة وأن لفظ "إيغيور"[١٠١] يحمل دلالة الطائر الكاسر، كالباز والصقر وغيرهما، مما نرجح معه إمكانية وجود موقعه بالقرب من أحد كهوف وادي أم الربيع، حيث تكثر مخابئ الحيوانات والطيور الضارية. ولئن خصص صاحب التشوف ترجمة وافية لأبي شعيب أيوب ابن سعيد الصنهاجي[١٠٢]، محددًا نسبه إلى" بلد أزمور"، فإنه عاد في الموضع ذاته ليذكر مجموعة من المراكز العمرانية الأخرى التي لا نعرف عنها الشيء الكثير، من قبيل قرية "واوزجارت" [١٠٣] التي كثيرا ما تردد عليها الشيخ أبي شعيب، وهي منطقة كانت تزخر

بالحيوانات الضارية خاصة الأسود، بحسب إفادات ابن الزيات[١٠٤].

وفي ترجمة لأبي حفص ابن معاد الصنهاجي، ذكر صاحب التشوف أن هذا الولي ينتسب إلى "أهل إيفغل من بلد أزمور من أصحاب أبي عبد الله بن أمغار وأبي شعيب"[١٠٥]، وإيفغل اسم لموطن لم يعد موقعه الآن معروفا قرب أزمور، ويحمل دلالة المكان المرتفع الواقع على كدية أو تل، علمًا أن مواقع عديدة لا تزال تحمل هذا الاسم بالجنوب المغربي من قبيل "أفوغال" بحاحا و"إيفغل" بتيزنيت[١٠٦] "وتافوغالت" بناحية بركان وغيرها من التسميات التي تشترك في ذات الجذر اللغوي. وهو ما يزيد من ضبابية المعطيات حول هذا الموقع.

ومن نماذج المراكز القروية التي خصها صاحب التشوف بالذكر دون تحديد، نذكر أيضا قرية "أفوجك" التي ينتسب إليها الشيخ أبو إسحاق إبراهيم عبد الصمد الصنهاجي، فقد كان هذا الشيخ "يتعبد بفضالة وهو من أفوجك"، وهي القرية التي اندرست بعد أن كانت من عدوة وادي أزمور[١٠٧]. وكذا قرية "أسكطاي" التي وردت ضمن ترجمة أبي مهدي وين السلامة ابن جلداسن، وهي بلدة كانت ضمن دائرة بلد بني دغوغ من دكالة[١٠٨]، علما أن أسكطاي تحمل دلالة المنطقة الجرداء أو التل العاري من النبات في اللسان الأمازيغي، فضلا عن "قرية المحاسبين"[١٠٩] موطن الشيخ أبي يعقوب تصولي ابن وابوسكط المحاسبي الذي كان من أقران الشيخ أبي ينور، وغيرها من المراكز العمرانية التي وردت شاردة ضمن المصادر دون تحديد.

خَاتِمَةٌ

وصفوة القول إن مجال دكالة في المصادر العربية الوسيطية على اختلاف أجناسها، لم يحظ بذلك الاهتمام الموازي لموقعها الجغرافي وسط المغرب وعلى ساحل المحيط، والأدوار الدينية والثقافية والجهادية التي اطلعت بها طول فترات مختلفة من العصر الوسيط. وعلى الرغم من أهمية هذه المصادر في رسم الخطوط الكبرى لتاريخ بلاد دكالة خلال العصر الوسيط، فإنها تطرح مجموعة من المشاكل والثغرات التي وجب ترميمها بالعودة إلى الميدان قصد البحث عن وثائق مادية جديدة خاصة المحلية منها، على اختلاف أجناسها، وتوجيه العناية للبحث الأثري، وما تختزنه الذاكرة الشفهية المحلية من روايات وأخبار متواترة، وتجميع مختلف الإشارات التي تخفيها أسماء الأمكنة التي تختزن في الغالب ذاكرة لا تموت، والأعلام البشرية وما تتضمنه من تواريخ ومعطيات مهملة، والانفتاح أكثر على الأرشيف البرتغالي الذي يعود قصب السبق في توظيف بعض ذخائره إلى الأستاذ بوشرب، وغير ها من الوثائق التي قد تساعد في إعادة كتابة تاريخ بلاد دكالة، لا سيما الجانب الاقتصادي والاجتماعي منه، خلال الحقبة الوسيطية.

الإحالات المرجعية:

(١) أحمد الوارث، **التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات**، منشورات المجلس العلمي المحلي بالجديدة، ٢٠١١م. وأنظر لنفس الباحث، **رباط تيط، تاريخ وعمارة**، ضمن رباطات وزوايا في المغرب، سلسلة أعمال وحدات التكوين والبحث، العدد٢، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، البيضاء، ٢٠٠٧، ص.٣٣-٦٣. عبد الله الحسيني، **التصوف وأهل التصوف في دكالة**، ضمن المرجع السابق، ص.٢٣٦-٢٥٤.

(٢) أحمد بوشرب، **دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور**، دار الثقافة، البيضاء، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. عبد الاله دحاني، **استرجاع البريجة سنة ١٧٦٩م، من خلال الدراسات الأجنبية، الباحث الإسباني رامون دياث نموذجا**، ضمن أعمال ندوة تاريخكالة، التي نظمت بتاريخ ١٢ و١٣ فبراير ٢٠٠٢، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، سلسلة ندوات ومناظرات، العدد ٦، السنة ٢٠٠٤، ص. ٦٥-٧٤. أنظر أيضًا: أعمال ندوة دكالة وتاريخ المقاومة بالمغرب، تنظيم المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير وشعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، ١٩٩٤م.

(٣) نفسه، ص.٤٦ وما بعدها. محمد شفيق، **في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية**، مجلة البحث العلمي، العدد٢٧، السنة ١٩٧٧م، ص.٣٢٩-٣٥٧. أحمد التوفيق، **التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، مشورات كيلة الآداب والعلوم الإنسانية، ط٢، الرباط، ١٩٩٧م، ص.١١٤.

-M.Bellaire ; **les doukkala** ;in ville et tribus du Maroc ;vol X ;Paris ;1932 ;p.34.

(٤) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، المجلد٢، ص.٤٥٩.

(٥) أورد ابن منظور، دكل: الدكلة بالتحريك: الطين الرقيق، ودكل الطين جمعه بيده ليطين به، والدكلة القوم الذين لا يجيبون السلطان، ويقال هم يتدكلون اي يتدللون، وتدكل: تدلل وانبسط. أنظر: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ج٣، ص.٢١٤. مادة: دكل.

(٦) الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص.٩٩٩-١٠٠٠.

(٧) ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٦، ص.٣٥٦.

(8) Massignon (Louis), **le Maroc dans les 1eres années du XV le siecle**, alger,1906,p.201.

(٩) ميشو بلير، **تاريخ ناحية دكالة، دراسة جغرافية وتاريخية واجتماعية**، ترجمة وتعليق محمد الشياظمي الحاجي السباعي، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠، ص.٢١.

(١٠) أحمد بوشرب، **م س**، ص.٤٦. ميشو بلير، **تاريخ ناحية دكالة، م س**، ج١، ص.٣٤٠.

(١١) **العبر**، م س، ج٦،٢٩٩.

(١٢) محمد شفيق، م س، ٣٤١.- عبد القادر زمامة، **دكالة في تاريخ المغرب**، مجلة دعوة الحق، العدد٢، السنة ١٩٨٢م، ص.٢٥-٣٠.

(١٣) محمد شفيق، **م س**، ص.٣٤٢.

(١٤) رواية شفوية عن الأستاذ عبد الواحد وجيه من دوار العبادلة بابن سليمان، مزداد بتاريخ ١٩٥٩.

(١٥) أحمد التوفيق، **م س**، ص.١١٤، الهامش رقم ٩٨.

(١٦) وهو باب فتح في سور مراكش من جهة الشمال الغربي، ولا زال يعرف بنفس الاسم إلى يومنا الحاضر. أنظر: البيدق الصنهاجي، **أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١م ص.٦١، وهامش المحقق رقم: ١٤١.

(١٧) **نفسه**، ص.٦١.

(١٨) ابن سمالك العاملي، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، ١٩٧٩م، ص.١٣٨.

(١٩) **نفسه**، ص.١٥-١٦.

(٢٠) **نفسه**، ص.١٤٧.

(٢١) ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة الثقافية، بيروت، ١٩٩٢م، ص.٦٥.

(٢٢) نفسه، ص.٧٠. ولعل المقصود بنهر ويسن، نهر أم الربيع.

(٢٣) المقدسي شمس الدين، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة ليدن بريل ١٩٠٦م، ص.٢٩٢.

(٢٤) **نفسه**، ص.٢٢٩.

(٢٥) **نفسه**، ص. ٢٣١.

(٢٦) البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتب، القاهرة**، ص.٨٧.

(٢٧) عن البورغواطيين ومجال نفوذهم بالمغرب الأقصى، راجع المصادر التالية: **ابن حوقل، م س، ص.٨٣.** البكري، **م س، ص.١٣٥ وما بعدها. مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، البيضاء، ١٩٨٥م، ص.١٩٧ وما بعدها. راجع أيضًا: محمد الطالبي إبراهيم العبيدي وألفرد بل، البورغواطيون في المغرب، منشورات اتصالات سبو، البيضاء، ط٣، ٢٠١٤م.**

(٢٨) الزهري، **كتاب الجغرافية**، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، الطاهر، د ت، ص. ١٠٧-١٠٨.

(٢٩) الإدريسي، **م س**، ج١، ص.٢٣٦.

(٣٠) العبر، **م س**، ج٦، ص.٢٩٩.

(٣١) الوزان، **م س**، ج١، ص.١٤٧.

(٣٢) **نفسه**، ج١، ص.١٤٧.

(٣٣) الوزان، **م س**، ج١، ص.١٦٠. أحمد بوشرب، **م س**، ص.٤٨.

(٣٤) **نفسه**، ج١، ص.١٦٤.

(٣٥) مارمول، م س، ج٢، ص.٧٠.

(٣٦) عبد القادر زمامة، **دكالة في تاريخ لمغرب**، مجلة دعوة الحق، العدد٢، السنة ٢٣، جمادى الاولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص.٢٦.

(٣٧) بوشرب، **م س**، ص.٤٨.

(٣٨) يذكر الوزان أن سكان قرية تامراكشت الموجودة بتامسنا على ضفة نهر أم الربيع، قد تسرب الفزع الى ساكنتها بعد احتلال أزمور سنة ١٥١٣م، حيث فر سكانها إلى مدينة الغربية بقلب دكالة، أنظر: الوزان، **م س**، ج١، ص.١٥٤.

(٣٩) ابن خلدون، **م س**، ج٦، ص.٣٥٦.

(٤٠) ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م، ص.١٣١.

(٤١) البيدق الصنهاجي، **كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١م، ص.٤٦-٤٧.

(٤٢) ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الكتبة التجارية، مكة الكرمة، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١، ص.١٥٦.

(٤٣) عبد الوهاب بنمنصور، **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨م، ج١، ص.٣٣٦. وأنظر لنفس المؤلف، تحقيق كتاب الأنساب، ص.٤٦، الهامش رقم: ٨٢.

(٤٤) ابن القطان، **م س**، ص. ١٣١.

(٤٥) عبد الوهاب بنمنصور، تحقيق كتاب الأنساب، ص.٤٦.الهامش رقم: ٨٢.

(٤٦) ابن خلدون، **م س**، ج٦، ص.٢٧٥.

(٤٧) بنمنصور، **قبائل المغرب**، م س، ج١، ص.٣٣٦.

(٤٨) البيدق، **أخبار المهدي**، م س، ص.٦٣.

(٤٩) البيدق، **أخبار المهدي**، ص.٦٣.

(٥٠) الإدريسي، **م س**، ج١، ص.٢٣٦.

(٥١) ابن خلدون، **م س**، ج٦، ص.٢٩٩-٣٥٦.

(٥٢) **نفسه**، ج٦، ص.٢٧٤.

(٥٣) عبد الوهاب بنمنصور، تحقيق كتاب الأنساب، ص.٤٦، الهامش رقم: ٨٢.

(٥٤) ابن خلدون، **م س**، ج٦، ص.٢٧٤.

(٥٥) **نفسه**، ج٦، ص.٢٧٥.

(٥٦) **نفسه**، ج٦، ص.٢٧٥.

(٥٧) عبد الوهاب بنمنصور، **قبائل المغرب**، م س، ج١، ص.٣٣٦. أيضًا: هامش كتاب الحلل الموشية، ص.١٤٧، الهامش رقم: ٧٣.

(٥٨) التقي العلوي، **أصول المغاربة، القسم العربي، الهلاليون بالمغربين الأدنى والأقصى**، مجلة البحث العلمي، العدد٣٥، السنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص. ٤١٤ وما بعدها.

(٥٩) ابن خلدون، **م س**، ج٦، ص.٢٧. الوزان، **م س**، ج١، ص. ٥٠ وما بعدها.

(٦٠) ميشو بلير، **تاريخ ناحية دكالة**، م س، ص.٦٨ وما بعدها.

(٦١) أحمد بن إبراهيم الدكالي، **سلسلة الذهب المنقود في ذكر بعض أعلام الأسلاف والجدود**، مخطوطة الخزانة الحسنية، الرباط، تحت رقم:٦٥٣٦.(نسخة مبتورة).

(٦٢) هو أحمد بن محمد الخياط، ابن إبراهيم الدكالي، فقيه وأديب من المشتغلين بالتراجم، صنف كتاب "سلسلة الذهب المنقود في ذكر بعض أعلام الأسلاف من الأسلاف والجدود"، مخطوط الخزانة الزيدانية، بمكناس، وتوفي قبل إتمامه حوالي ١٧٤٧م. أنظر الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت، ج١، ص.٢٤٢.

(٦٣) بوشرب، **م س**، ص.٧١-٧٢.

(٦٤) ابن عبد العظيم الأزموري، **بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال أمغار الصالحين**، مخطوط خاص، نسخة تيط، ص.٧٥.

(٦٥) **نفسه**، ص. ١٠.

(٦٦) أحمد بن إبراهيم الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، تحقيق عبد السلام السعيدي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص.٣٠٢ وما بعدها. المختار السوسي، **المعسول**، مطبعة الجامعة، البيضاء، ١٣٩١هـ/١٩٦١م. ج٤، ص.٨.

(٦٧) ينقل المختار السوسي عن صحيفة جاء فيها أن الرجراجيين من بقية الحواريين، وأنهم انتقلوا من جزيرة الأندلس إلى المغرب قبل الإسلام، وكانوا يحفظون عن أجدادهم أن نبيا مبعوثا، فبقوا يترصدون مبعثه، فحين أخبروا بمبعث رسول الله (ص)، جمعوا رؤساء المغرب فسافروا في جمع عظيم تحت رياسة سبعة رجال: الأول: وسمين الثاني: عيسى بوخابية الثالث: يعلى الرابع: أبو بكر أسماس الخامس: صالح ابن أبي بكر السادس: عبد الله أدناس السابع: سعيد يبقى. أنظر: المعسول، ج٤، ص. ٦ وما بعدها. وعن هجرة سبعة رجال إلى مكة، راجع:

-Decastries, **Les sept Patrons de Marrakech**, Hesperis-Tamuda, 3eme tri, TIV, 1924. pp.245-303.

(٦٨) المختار السوسي، م س، ج٤، ص.٦ وما بعدها.

(٦٩) بوشرب، **م س**، ص.٧٢.

(٧٠) المختار السوسي، **م س**، ج٤، ص.٦.

(٧١) البيدق، **أخبار المهدي**، م س، ص.٦٣.

(٧٢) بهجة الناظرين، م س، ص.٦٣.

(٧٣) ابن الزيات، م س، ص.٤٣١.

(٧٤) الكانوني، آسفي وما إليه قديما وحديثا، دون ذكر تاريخ ومكان النشر، ص.١٦.

(٧٥) إن صمت المصادر عن تحديد موقع قرية أيير بدقة، جعل الأمر مفتوحا لتضارب الآراء والاجتهادات، فحسب الكانوني هي قصبة كانت توجد بشمال أسفي على لسان داخل في البحر(...)كانت موجودة في القرن الثامن الهجري"، بينما يرى هنري تيراس أن موقع أيير هو مرسى الوليدية حاليا. أنظر: الكانوني، م س، ص. ٤٠. أيضًا:

- Henri Terrasse, **Histoire du Maroc des origins a l'etablissement du Protectorat Français**, Editions Atlantide, Casabanca,1592. p.228.

أيضًا: ميشوبيلير، م س، ج١، ص.٩٦-٩٧.

(٧٦) بوشرب، م س، ص.٥٧-٩١.

(٧٧) هناك تضارب في موقع هذه القرية، وهو ما يشير إليه أحمد التوفيق في تحقيقه لكتاب التشوف، بقوله "إن أثارها معروفة ولا ينطبق موقعها على وضعه عند ماسينيون في خريطة دكالة، ص.٢٣ من كتابه المغرب في أوائل القرن السادس عشر للميلاد". راجع تعليق أحمد التوفيق، **التشوف**، م س، ص.٣١٩ الهامش رقم: ٢.

(٧٨) هناك مدينتين تحمل كل منهما اسم مائة بير وبير، الأولى تقع على بعد ٤٠كلم جنوب الجديدة بقرب أربعاء موكرس بأولاد بوعزيز، والثانية توجد على بعد ٨ كلم من دار سي عيسى بن عمر في الشمال الغربي، وعلى بعد ٢٤ كلم شمال شرق أسفي. أنظر: ميشو بلير، م س، ج١، ص.١٠٤.

(٧٩) يذكر الوزان أن هذه المدينة تبعد عن أسفي بنحو ١٤ كلم، أما مارمول فيذكر أنها على بعد ٥ فراسخ من هذه المدينة، والواقع أنها تبعد عن أسفي بنحو ٧٠ كلم، وهي محاطة بأسوار عتيقة. راجع الوزان، **م س**،

ج١، ص.١٥٩. مارمول، **م س**، ج٢، ص.٩٨. ميشو بلير، **م س**، ج١، ص.١٠٦.

(٨٠) ابن الخطيب، **معيار الاختيار**، م س، ص.١٥٩-١٦٠.

(٨١) الإدريسي، **م س**، ج١، ص.٢٤١.

(٨٢) ابن قنفد، **م س**، ص. ٧١.

(٨٣) **نفسه**، ص. نفسها.

(٨٤) ابن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تقديم وتحقيق السعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ١٩٨٩م، ج٣، ص.٧٤.

(٨٥) التميمي، **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، تطوان، ٢٠٠٢م، ج٢، ص.١٠١.

(٨٦) **نفسه**، ص.١٣٢-١٣٣.

(٨٧) ابن قنفد، **م س**، ص.٧١.

(٨٨) يرجح الأستاذ بوشرب، أن موقع قبيلة بني دغوغ، لا يمكن أن يكون إلا في المجال الممتد بين بني ماجر ومشنزاية شمال شرق سهل سحيم، وهو ما يوافق موقعها الحالي مع تقلص كبير، بعد اندماجها داخل قبيلة أولاد عمران العربية. أنظر: **م س**، ص.٧٣.

(٨٩) الوزان، م س، ج١، ص. ١٥٧-١٥٨-١٥٩. وعن الخصائص المعمارية لهذه المدينة وغيرها يمكن مراجعة: عزالدين كرا، **المواقع الإسلامية بمنطقة عبدة بين النص التاريخي والدراسة الميدانية، مساهمة في وضع خريطة أثرية للمنطقة**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، المعهد الوطني للآثار والتراث، الرباط ٢٠٠١. (مرقونة). أنظر أيضًا: بيدرو دياش، **البرتغاليون في المغرب، عمارة وعمران**، ترجمة أحمد محفوظ، دار غرافيكا كويمبرا، ٢٠٠٠.

(٩٠) الوزان، م س، ج١، ص.١٥٥-١٥٦.

(٩١) **نفسه**، ج١، ص.١٥٢.

(٩٢) **نفسه**، ج١، ص.١٧٤ وما بعدها.

(٩٣) **نفسه**، ج١، ص.١٦٤-١٦٥.

(٩٤) ومن الإنصاف الإشارة إلى الدراسة الجادة التي نشر كل من هنري تيراس وباسي عن رباط تيط، راجع:

- H. Terrasse et H. Basset, **Sanctuaires et forteresse Almohades: Le Ribat de Tit**, Hesperis Tamuda, 2eme trimestre, T.VII, 1927. pp.117-156.

(٩٥) ابن الخطيب، **معيار الاختيار، م س**، ص.١٥٩-١٦٠.

(٩٦) **نفسه**، ص.١٦٢.

(٩٧) **تيطنفطر**: معناها في اللسان الأمازيغي عين الفطر، وقد ذكرها ابن عبد العظيم الأزموري تحت عدة مسميات: منها: بلد عين الفطر، بلدة عين الفطر المحروسة، ومدينة عين الفطر التي خرب سورها الامير الموحدي المرتضى، ورباط عين الفطر، أنظر: **بهجة الناظرين**، **م س**، ص. ١٢-٤٥-٢٠٠-٤٣.

(٩٨) ابن الزيات، **م س**، ص. ٢٠٩.

(٩٩) **نفسه**، ص. نفسها.

(١٠٠) **نفسه**، ص.١٨٥، وانظر الهامش رقم ٣٨١ من نفس الصفحة.

(١٠١) توجد مدينة صغيرة تقع ببلاد الشياظمة جنوب حاحا وقرب ميناء تافطنا، وكانت تشكل حصنا ضد هجمات البرتغاليين خلال القرن ١٠هـ/١٦م. انظر، بوشرب، دكالة، ص.٢٣٢-٣٦٧. محمد الشياظمي، **تاريخ ناحية دكالة، م س**، ج١، ص.١١٤.

(١٠٢) **التشوف**، م س، ص.١٨٧ وما بعدها.

(١٠٣) **نفسه**، ص.١٨٩.

(١٠٤) **نفسه**، ص.١٨٩.

(١٠٥) كانت وفاة هذا الولي سنة ٥٦١هـ، **نفسه**، ص.١٨٣.

(١٠٦) **التشوف**، ص.١٨٣، وأنظر أيضًا: هامش المحقق رقم: ٣٦٩.

(١٠٧) **نفسه**، ص.٣١١.

(١٠٨) كانت وفاة هذا الولي سنة ٥٦٠هـ، أنظر: **نفسه**، ص.٢٦١.

(١٠٩) - **التشوف**، ص.١٣١.